الفصل الأول

عقيدة بنى إسرائيل

- العهد القديم
- التلمود
- بروتوكولات حكماء صهيون
- اليهود وتزييف التاريخ
- قصة صلب المسيح
- اليهود يحاربون دعوة الإسلام

عقيدة بنى إسرائيل

من الناحية الواقعية التاريخية يتضح أن بنى إسرائيل أهملوا المصدر الحقيقى للعقيدة، وهو السماء وانساقوا خلف مصادر أخرى، فقد مرت ببنى إسرائيل أحداث خطيرة عاشوا فى مصر، ووقعوا بين شقى الرحى فى فلسطين ونفوا إلى بابل، وفى فترة الصراع بينهم وبين الدول، ثم فى فترة التشرد كتبوا العهد القديم، ووضعوا التلمود، وبروتوكولات حكماء صهيون، وأصبحت هذه المصادر هى المصادر الواقعية للعقيدة اليهودية (١).

١ ـ العهد القديم:

لم يستطيع بنو إسرائيل فى أية فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم، وتصور اليهود الله فى العهد القديم ببعده كل البعد عما يتصف به الآله عند أى جماعة من جماعات المتدينين، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً هادياً وإنما أنعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم ويقول «ول ديورانت»: يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليه وجعلوا منه إلها ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التى وجدت فى كنعان سنة ١٩٣١ قطعاً من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ق.م) عليها اسم إله كنعانى يسمى «ياه» أو «يهوه».

فيهوه ليس خالقاً لهم، وإنما هو مخلوق لهم، وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم، وكثيرا ما يأتمر بأمرهم، وفى «يهوه» صفاتهم الحربية إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، وهو يأمرهم بالسرقة إذا أرادوا أن يسرقوا، ويتعلم منهم ما يريدونه أن يعلم.

---

(١) المسيحية وإسرائيل ـ بشرى زخارى ميخائيل.

ويهوه ليس معصوماً من الخطأ فكثيراً ما يقع فى الخطأ ثم يندم على ما فعل، وفى نص التوراة. فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه (خروج ٣٢ : ١٤) وفى نص آخر «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا: ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى» (صموئيل الأول ١٥, ٤٠).

والإله يهوه يأمر بالسرقة فهو يأمر بنى إسرائيل «ان تطلب كل أمرأة منهم من جارتها ومن نزيلة بيتها فضة وأمتعه ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» (خروج ٣، ٢٢).

ويهوه إله قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعب بل إله إسرائيل فقط، وهو بهذا عدو للآلهة الآخرين؛ كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى «متى أتى بك الرب إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتملكها وطرد وشعوبا كثيرة من أمامك شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب الهلك أمامك وضوربتهم فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم» (تثنية ٧، ١ - ٢).

وهناك صفة أخرى من صفات يهوه هى أن التوراه تصور موسى ذا سلطان عليه، ينصحه فينتصح ويتخذ موسى وهو ينصحه موقف المرشد المعلم، فمن ذلك أن يهوه غضب على إسرائيل وقال لموسى: اتركنى ليحمى غضبى وافنيهم، فراجعه موسى وقال له ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟ فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه (خروج ٣٢، ١٠، ١٤).

ويهوه لا يدعى أنه عالم ويطلب من بنى إسرائيل أن يرشدوه فقد قرر حينما كان بنو إسرائيل لا يزالون فى مصر «أن يجتاز فى أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم (خروج ١٢، ١٢).

ولكن يهوه لا يريد أن تنزل ضرباته ببنى إسرائيل، ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة، بأن يجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا فى البيوت (خروج ١٢، ٧).

(١) انظر قصة الحضارة (ول ديورانت) ص ٣٤ ج ٢.

ومن الأوصاف البشرية لـ « يهوه ما جاء فى التوراه » ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل (خروج ٢٤، ٩-١١)

مسألة الألوهية إذاً لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل فقد كانت المادية، والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم، وحينما جاءهم المسيح لا ليقيم لهم ملك سليمان ولا ليملأ أيديهم من زينة الحياة الدنيا وزخارفها. ولكن ليطب أرواحهم المريضة ولينزع الغل الذى ملأ قلوبهم والذى عزلهم عن المجتمع الإنسانى وأغرى بهم الناس أن يعاملوهم معاملة العدو الذى يتربص بهم الدوائر... حينما جاء المسيح ليخلصهم من تلك الأمراض الخبيثة المندسة فى نفوسهم، المتسلطة على عقولهم، استقبلوا هذه الدعوة بوجوه منكرة وقلوب مغلقة، فلم يروا فيها بارقة من بارقات الخير، فأداروا لها ظهورهم.

٢. اليهود والمسيح

تخلصوا من المسيح المزعوم بزعمهم، ليستقبلوا المسيح المرسوم بوهمهم، وأنهم مازالوا فى معرض الاستقبال ينتظرون... وهيهات. إنهم ينتظرون مسيحاً يملأ أيديهم بالذهب، ويفتح عليهم كنوز الأرض، لا مسيحا يبشر فيهم بملكوت السموات. ومما يقوله «ديورانت» فى موقف اليهود من الإله لهو أصدق دليل على أن اليهود هم اليهود... عباد مادة، لايعرفون المثل الرفيعة، ولا يؤمنون بالمعانى الكريمة إلا أن تكون مادة تقع فى حساب الموازيين والمقاييس... درهما وقنطارا أو ذراعاً وباعاً.. المال كما يقول « كارل ماركس فى كتابه » المسألة اليهودية هو إله إسرائيل المطماع، وأمامه لا ينبغى لأى إله أن يعيش. إن المال يخفض جميع آلهة البشر ويحولها إلى سلعة، إن المال هو الجوهر الذى يسيطر على الإنسان ويستعبده لقد أصبح إله اليهود إلهاً للناس جميعاً، وهذا انتصار لليهود!!.

وإذا تخطينا عدة قرون فاننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهودية ربًّا جديداً نفعيًّا كذلك، ذلك هو تربة فلسطين وزهر برتقالها : والذى يقرأ رواية «طوبى للخائفين» للكاتبة الصهيونية «باثيل ديان» ابنة القائد الصهيونى موشى ديان، يجد أحد أبطالها «ايفرى» ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب إلى المعبد، وان يحول اهتمامه لإلهه الجديد :

تربة فلسطين. ونقتبس فيما يلى سطوراً من هذه الرواية « الصبى يجب أن يذهب إلى المعبد مع أمه، ولكنه عندما عاد من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق، قال له : أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها كان من الضرورى بالنسبة لنا ان نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونزود عنه الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شىء أهم هو الأرض : أنت الآن إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شىء، ملابسى ومتاعى وأقاربى وأهلى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب من تراب الأرض، وسكبها فى كف ابنه وقال له : امسك هذا التراب اقبض عليه، تحسسه، تذوقه، هذا هو ربك الجديد إذا اردت ان تصلى للسماء، فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا هذا هو المهم، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد. إذا أردت أن تسلى نفسك وتتعلم شيئا فاذهب وتعلم حلب البقر(١).

هذه دلالة واضحة على أن إسرائيل دولة أقامها ناس لا علاقة لهم بالدين ولا يعترفون به، بل إنهم هاربون من دينهم قبل أى شىء آخر، ورغم استناد الفكر الصهيونى فى دعوته إلى المصدر الدينى المحض إلا ان ذلك لا يعدو أن يكون استغلالا سياسيا للعقيدة الدينية. إنهم متماسكون بصورة دينية ولكنهم ليسو متدينين، ودلالة واضحة أيضا على أن اليهودية ليست إلا شريعة دنيوية لا تمت إلى تعاليم موسى إلا بصلة الاسم فقط، فالأنانية وحب الثراء، وصنعة التنجيم والسحر، وإكبار شأن المادة، وإرسال الغموض على يوم الدينونة تبعد بعد السماء عن الوصايا العشر التى أتى بها موسى صاحب الرسالة الموسوية الأصيلة، وتجعلها تختلف اختلافا بينا عن بقية الديانات السماوية الأخرى، ذلك أنهم فسروا هذه الوصايا لحسابهم وعلى هواهم، فأصبحت كلمة لا تقتل تعنى لا تقتل اليهودى، وكلمة لا تسرق تعنى لا تسرق اليهودى، ولا تزن تعنى لا تزن باليهودية... وهكذا.

إن الدين اليهودى الحالى لا يعترف إلا بألوهية « يهوه» كرب أعلنه مؤلف سفر الخروج، خاص بالعبريين، ثم جعله من دون سائر آلهة العصر إلها خاصاً لبنى إسرائيل.

يقيناً لقد خاض مؤلف « سفر الخروج » فى خضم الترهات خوضاً عجيباً، لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبية القبلية هذا الرب انتزاعا وجعله لإسرائيل إلهاً فحسب، وإنما لأنه قد افترى

(١) انظر مقارنة الأديان ـ اليهودية للدكتور أحمد شلبى.

على موسى عليه السلام إذ نسب إليه هذه الافتراءات، وقال عنه إنه بهذا الرب أتى وجعله لإسرائيل إلها غداه إلى مصر عاد بعدهم باسمه امتلاك «أرض كنعان» ميراثاً، فنحن نسمع من نصوص هذا السفر ما يؤكد محلية « يهوه» عبر هذا القول الزور الذى وضعه هذا المؤلف اليهودى بين شفتى موسى لحظة.

ازداد تحنيا عليه وتطاولا، وقال بأنه كما يخوض غمار القتال راح يترنم بصفة «يهوه» ربا كالأرباب قائلاً : الرب رجل الحرب. من مثلك بين الآلهة يا رب !

بهذا الاعتراف الرسمى الذى يجيء الينا من هذا المؤلف اليهودى صريحا يقول إن « يهوه» بالألوهية لم ينفرد، وإن لم يكن إلا بين أرباب العصر ربا، وإنه لم يكن إلا لإسرائيل إلها جاء بعدهم « أرض كنعان» ملكا وميراثا نضع أيدينا على مواطن الضعف فى تاريخ « عقيدة الأرض الموعودة » عند اليهود أنفسهم إن الوعد بمنح « أرض كنعان» إلى بنى إسرائيل لم يجيء إلا على لسان « يهوه »

عالم تلمودى يقرأ التلمود الذى وضعوه لأنفسهم. ويؤمنون بأنه الكتاب الثانى الذى أنزل على موسى !!

٣ ـ التلمود :

إلى جانب العهد القديم، هناك مصادر أخرى يلتزم اليهود بتقديسها، ولا تقل أهمية عن العهد القديم، ويضفى عليها اليهود القداسة ويستمدون منها التوجيه، من هذه المصادر التلمود.

ويعتبر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه فى منزلة التوراة، ويرون أن الله اعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل يضعون هذه الروايات الشفوية فى منزلة أسمى من التوراة.

وكان أول من جمع تلك التفسيرات فى كتاب سماه « المشنا » هو الحاخام « يوخاس »

حوالى سنة ١٥٠م. ومشنا معناها الشريعة المعتادة أو المكررة، وقد زيد فى القرون التالية على كتاب المشنا الأصلى شروح أخرى صار تأليفها فى فلسطين ويابل، ثم علق اليهود على المشنا حواشى كثيرة وشروح مسهبة دعوها « جامارة »؛ فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع الجامارة كونت التلمود ومعناها : تعليم ديانة اليهود وآدابهم، وهذه الشروح مأخوذة من مصدرين أصليين أحدهما يسمى بتلمود أورشليم، وقد كان موجوداً فى فلسطين سنة ٢٣٠م وسمى تلمود أورشليم ، وثانيهما كان موجوداً بالعراق ٥٠٥م وسمى تلمود بابل(١).

وتضطرب أقوال اليهود أحياناً وهم يضعون التلمود فى تلك المكانة، فلا يكتفون بما أوردناه من التلمود منزل، بل يعلنون أن التلمود وإن كان من أقوال الحاخامات فهو أيضاً فى مكانة التوراه، وأن من ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراه فقط لاخلاص له.

وجاء فى كتاب يهودى يدعى « كرافت » مطبوع سنة ١٩٥٠ ما يلى « اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وقال أحد علمائهم ويدعى « ميمانود» إن مخالفة الحاخامات هى مخالفة الله، وقال آخر : إن من يقرأ التوراه دون المشنا والجامارة فليس له إله »

وجاء فى التلمود نفسه ص ٧٤ : إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها ولو بأمر الله ! لا، بل لقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ إلا له مما اضطره جلت قدرته إلي الاعتراف بخطئه (٢).

فما هى تعاليم أولئك الحاخامات التى يدين بها اليهود ويقدسونها ؟ يتحدث التلمود فى شتى الموضوعات، يتحدث عن الله، وعن أرواح اليهود، وعن اليهود وغيرهم من غير اليهود الذين يطلق عليهم اسم « الجوييم » (٣) أو الاممين، ويتحدث كذلك عن اليهود والتملك إلى جانب موضوعات أخرى كثيرة، سنأخذ منها بالقدر الذى يهيئ للقارىء أخذ فكرة عما يكنه اليهود للمؤمنين من عداء وعنصرية وبغضاء.

(١) اعترف كثير من الصهيونية أن هذا الكتاب المقدس « التلمود » من وضعهم ومنهم (أيلى ليفى أبو عسل) صاحب كتاب يقظة العالم اليهودى، الذى قال ما نصه ص ٣٧ (وفى وسط هذه العلاقات مد يهود مصر يد المساعدة لإخوانهم للنهوض بالعمل الأثرى الخالد فى فلسطين، وعاونوهم فى إنشاء التلمود وتنسيقه) .

(٢) انظر الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ترجمة الدكتور يوسف نصر الله .

(٣) يسمى اليهود من عداهم « الجوييم » أو الأمميين ومعناها الكفرة والأنجاس والبهائم والوثنيين .

- فالبنسبة لذات الله مثلا نجد أن العصمة ليست من صفاته فى رأى التلمود لأنه غضب مرة على بنى أسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلا ضد العدالة.

- وعن اليهود وغير اليهود فقد جاء فى التلمود أن الإسرائيلى معتبراً عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهود جزء من الله، فإذا ضرب أممى إسرائيليًّا فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم ويلزم التلمود بنى إسرائيل أن يغشوا سواهم، وأن يستعملوا النفاق مع غير اليهود، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود.

- أرواح غير اليهود ليست لها حرمة لدى اليهود، جاء فى التلمود : محرم على اليهودى أن ينجى أحدا من الاممين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الاممين يقع فى حفرة لزمه أن يسدها بحجر.

- من العدل أن يقتل اليهودى كل أممى لأنه بذلك يقدم قربانا لله.

- على اليهود أن يعاملوا المسيحين كحيوانات دنيئة غير عاقلة.

- لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات أى غير اليهوديات.

- أما عن المسيح فيقول التلمود : إن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار، وأن مريم أمه أتت به من العسكرى « بندارا» عن طريق الخطيئة.

- أن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها، وأن العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى القيام به، وأنه من الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى إسرائيل.

بروتوكولات حكماء صهيون (١)

وبروتوكولات معناها محاضر جلسات ويسميها بعض الباحثين قرارات، ولا تزال هذه البروتوكولات بل وقت وضعها من الأسرار التى لم تكتشف بعد حتى الآن.

(١) المصدر السابق وعباس العقاد بروتوكولات حكماء صهيون.

ويرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية لمؤتمر (بال) ١٨٩٧، أما القرارات العلنية فهى التى أعلنت عن ضرورة قيام دولة اليهود فى فلسطين.

وأهم ما يعنى به اليهود فى الفترة الأولى هو إعداد الشعب اليهودى للسلطان وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، فالناس قسمان: يهود وأممين (أى كفرة وثنيون) واليهود شعب الله المختار، وهم أصلاء فى الإنسانية والأمميون اتباع فيها، وعلى هذا فمن حق اليهود معاملتهم كالبهائم. ويرى اليهود فى هذه المرحلة أيضا تمزيق الأوطان والقضاء على القوميات والأديان ونشر الإباحية والفوضوية والسيطرة.. إلخ

فإذا تحقق انتصار اليهود قاموا بتطبيق القسم الثانى، وذلك بأن يقيموا مملكة استيرادية تحكم العالم كله ويكون مقرها أورشليم أولا ثم تستقر فى روما إلى الأبد ويعاقد على العرش حكام من ذرية داود!؟.

ومن نماذج تعاليم البروتوكولات:

- أن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقى وما هو خير بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى.

- أن فائدتنا نحن فى ذبول الأممين وضعفهم وقوتنا تكمن فى أن يبقى العامل فى فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نجعله عبداً لإرادتنا..

- حينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمحو كلمة الحرية من معجم الإنسانية.

- لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروفة لدينا زيفها التام.

- وحينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض، لن نسمح بقيام دين غير ديننا، وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى وسنفصح كل مساوىء الديانات الأخرى.

- أمامنا الآن بضع سنوات لتحل اللحظة، التى يتم فيها تحطيم الديانة المسيحية تحطيماً تاماً.

- سنحط من كرامة رجال الدين الأمين لننجح فى الإضرار برسائلهم، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاما، يتبعها فى الانهيار باقى الأديان ويصير ملك إسرائيل باباً للعالم.

وبعد فقد وضع الصهاينة هذه البروتوكولات متزامنة مع أطماع الصهيونية فى نهاية القرن الماضى، أى منذ مائة عام فقط، ومن عجب أن هذه الفترة ذاتها هى التى وقف العالم المسيحى إلى جوار الصهيونية العالمية - على ما أبدته لهم من احتقار لدينهم وحضاراتهم وشعوبهم، وبدلا من أن تقوم جبهة عريضة فى مواجهة الردة اللإنسانية التى تمثلها الصهيونية، تقوم هذه الدول وفى مقدمتها إنجلترا وأمريكا وفرنسا باحتواء هذه الحركة البغيضة المتسلطة، وتعاونها على إنشاء دولتها الشاذة، وبدلاً من تكوين الأجهزة التى تقاوم هذا التسلط البغيض اللاأخلاقى، والذى يعمل على تحطيم الحضارة الإنسانية بكاملها، أقول هذه الدول هى نفسها - وطيلة هذا القرن - هى التى حمت الصهيونية بدلاً من أن تحمى قيمها الموروثة ودينتها وحضارتها..

اليهود وصلب المسيح :[1]

الاناجيل صريحة كل الصراحة فى أدانة اليهود أنهم هم الذين قرروا وطلبوا صلب المسيح، وقد سجلت الأناجيل هذا الحدث فى ملحمة تثير الشجن والأسى وتبعث الحنق والمقت لأولئك الذين فعلوا هذه الفعلة النكراء التى لم تشهد الانسانية مأساة مثلها ففى الأناجيل تصوير دقيق مفصل لكل حركة أو همسة أو خلجة لهذه المأساة، إذ لم يترك التلاميذ الذين كتبوا الأناجيل أيه خطوة من خطوات المسيح وهو يساق إلى ساحة الصلب إلا سجلوها وسجلوا ما تلبس بها من دقيق وجليل(١).

فإذا قام المجمع المقدس بتبرئة اليهود من دم المسيح، فما ذلك إلا جانباً من مخطط صهيونى للقضاء على الأديان، دنياً بعد دين، حتى يخلو لهم وجه الحياة، وتبدد كل قوة تقف لأطماعهم، وحينئذ يسوقون القطيع الإنسانى إلى الغابات التى يريدونها، ويعملون لها منذ كان لهم مجتمع بين الناس.

(١) مع أن القرآن الكريم يقرر أن اليهود لم يصلبوا المسيح وإنما صلبوا شبيهه فإن نية قتل المسيح كانت متوفرة لديهم، وأن رفعه إلى السماء كان فوق إرادتهم وهم يحملون وزر غدرهم بالمسيح إلى قيام الساعة.

(١) المسيحية وإسرائيل - بشرى زخارى ميخائيل.

لقد قامت إسرائيل كلها، منذ أقدم العصور على تزييف الحقائق فلما لم يؤد تزييف الحقائق إلى كل النتائج التى تنشدها جماعة المزيفين الذين تسموا باسم الصهاينة زيفوا ما فى الكتب السماوية ذاتها وما التأييد الذى تلقاه إسرائيل من أمريكا المسيحية إلا نتيجة لهذا التزييف(١).

والصهيونية إذاً هى حركة لصوصية لدين موسى، ثم هى حركة لصوصية لدين المسيح، وقد جاءت حركة اللصوصية الثانية عن طريق التزييف الذى أدخله الصهاينة فى بعض الكتب، مع أن بداية دعوته هى النهاية لما سبقها من دعوات لها.

لقد دسوا على الكهنوت الكاثوليكى يهودا متنصرين، ونجحوا فى استمالة عدد من الانصار من بين صفوف أعضاء المجمع المقدس، وكان أن صدرت وثيقة تبرئة اليهود من مسئولية صلب المسيح وإلقاء هذه المسئولية على الجنس البشرى كله وبذلك ضمنت الصهيونية القطاع الكاثوليكى من العالم، بعد أن ضمنت القطاع البروتستنتى واستنفدت كثيرا من طاقته لمصلحتها.

إن إصدار قرار يتعارض مع نصوص العهد الجديد ليس إلا مؤامرة سياسية يؤكدها أن أصحاب هذا القرار من دول خلقت إسرائيل واغتصبت لها الأرض العربية وشردت أهلها، وأبرزتها إلى الكيان السياسى بقرار هذه الدول الاستعمارية لحمايتها، ثم أرادت أن تدعم كيانها السياسى بقرار دينى فهى من ثم بدعة مغرضة بدعة مجاملة الصهيونية عن طريق تزييف التاريخ.

بنو إسرائيل ومحاربتهم لدعوة الاسلام

ذكرنا جانبا مما جاء عن تمرد بنى إسرائيل على أنبيائهم منذ بعثة رسولهم موسى عليه السلام وأذاقوه من كفرهم بتعاليم السماء منذ عبورهم البحر - بمعجزة كبرى - حتى موت موسى وهارون وامتداد هذا العصيان حتى ظهور الديانة المسيحية وتكذيبهم لها إلى حد صلب المسيح نفسه بادعاءات من صنع أيديهم، لولا أن نجاه الله، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ».

(١) المصدر السابق.

ونأتى الى المرحلة الثالثة لمحاربة هؤلاء القوم للأديان السماوية وآخرها الدين الإسلامى ومحاربتهم لهذه الدعوة الإسلامية منذ ظهورها فى المدينة، وقصتهم مع الرسول والإسلام يحكيها القرآن الكريم، وفصلها فيما بعد :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ١ ﴾ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبواوقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصر ﴿ ٢ ﴾ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الأخرة عذاب النار ﴿ ٣ ﴾ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴿ ٤ ﴾ (سورة الحشر)

لليهود فى المدينة وما حولها قصة طويلة مع الرسول (ﷺ) شكلت جانبا كبيرا من تاريخ الرسول وتاريخ الدعوة فى المدينة، وما جابهها من مشكلات، وما اضطر الرسول إليه من اتخاذ مواقف معهم للقضاء على هذه المشاكل(١)..

ورجعة إلى فترة ما قبل هجرة الرسول للمدينة، نرى أن طوائف عدة من اليهود الذين هاجروا من جنوب الجزيرة قد استقروا فى المدينة، أو فى ضواحيها، وكانوا يعتبرون أنفسهم بما عندهم من دين أرقى من عرب المدينة وقبائلها المشركة، وكشأنهم دائماً عاشت كل طائفة أو عدة طوائف منهم فى ظل أهل البلد الأصليين من الأوس والخزرج، وكانتا قبيلتين متناحرتين فلاذت كل جماعة منهم إلى إحداهما وتحالفوا معها وعاشوا فى حمايتها.. لكنهم بطبيعتهم عملوا على بث الشقاق وأذكوا نار العدواة بين القبيلتين ليحلو لهم العيش فى ظل الخلاف..

وكثيراً ما كانوا يفتخرون على العرب المشركين بأن لهم رسولاً وكتاباً، ويتوعدهم بأن رسولاً سيظهر ويتحدون معه ويعدون به.. وكان هذا الذى يقولونه لأهل المدينة من العرب، أحد العوامل التى ساعدت على إقبال أهل المدينة على ما قاله الرسول لهم ودعاهم إليه حين قابل الحجاج منهم، وعقد معهم بيعة العقبة الأولى، والبيعة الثانية.

(١) لليهود قصة مع الرسول والإسلام ـ د. عبد المنعم النمر.

وحين وصل الرسول للمدينة، كان اليهود ضمن من خفوا لاستقباله دون أن يتوقعوا منه خطراً عليهم، وربما ظنوا أنهم سيحتوونه، وربما ظنوا أنه لن ينجح فى تكوين جماعة قوية تكون خطراً عليهم ولذلك أقبلوا على إمضاء المعاهدة التى وضعها الرسول بينه وبينهم وبين مشركى المدينة. بقصد تنظيم الوضع الداخلى بين سكان المدينة وضواحيها، ليعيش الجميع فى سلام بعضهم مع بعض، وليدافعوا جميعاً عن مدينتهم.. وقد تأخر يهود بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع عن التوقيع ثم جاءوا بعد قليل ووقعوا عليها.. والتزموا بنصوصها وروحها..

وكان ذلك من الرسول أول عمل سياسى واجتماعى، يوفر على سكان المدينة وضواحيها أمنهم وراحتهم ويضمهم جميعاً فى حلف واحد ضد أى مغير عليهم.

وفى ظل هذا الحلف، وظل الإخاء الذى عقده الرسول بين المهاجرين والأنصار، سار الرسول فى دعوته، يكسب القلوب، ويلفت الأنظار إليه بسلامة دعوته، وبخلقه وعدله وبساطته فى معيشته، وفى التفاف المسلمين حوله.. وظهرت بذلك شخصية المسلمين وقوتهم.. وبدأت الغيرة تدب فى قلوب اليهود، والحقد يأكل هذه القلوب، وبدأوا يثيرون حرب الجدال بينهم وبين الرسول، أو الحرب العلمية.. ويثيرون المشاكل والدسائس.. واليهود لهم حصيلة من دينهم ومن الأخبار الماضية التى جاءت فى التوراة.. فأخذوا يثيرون الأسئلة والشبه لزعزعة المؤمنين فى عقيدتهم، وأظهر جماعة منهم إسلامهم وانضموا إلى صفوف المسلمين لكى يتمكنوا أكثر من أغراضهم الخبيثة.. ثم عز عليهم أن يجدوا الأوس والخزرج وقد نسوا خلافاتهم وأصبحوا جماعة واحدة حول الرسول يمثلون قوة يخشى بأسها، وقد عاشوا من قبل متحاربين، واليهود يعيشون فى ظل هذا الخلاف، عز عليهم هذا، فأخذوا يثيرون أخبار هذه الخلافات، ويلقون على مسامعهم ما كان يقوله شعراء كل منهم فى الآخر، ليفتحوا الجروح بعدما اندملت بالإسلام، وتهيج الأوس والخزرج بهذه الذكريات، وتقوم بينهم المعارك من جديد، ويدركهم الرسول فيوبخهم ويطفئ النيران التى أشعلها أحد اليهود فى نفوسهم وتنزل الآية ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ فيثوبون إلى رشدهم ويعانق بعضهم بعضا ويبكون ويستغفرون الله.

وكلما مرت الأيام انكشف اليهود، وظهرت بوادر الحقد فى نفوسهم، وظهر تلاعبهم بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم، حتى كانت تقع بينهم، وبين بعض المسلمين حوادث فردية، لما كان يحصل منهم، من تطاول على الإسلام ورسوله والمؤمنين..

إخراج بنى قينقاع

لم يف اليهود بعهودهم مع الرسول فى توفير التعايش السلمى بين سكان المدينة جميعاً وبدءوا يثيرون المتاعب، والشقاق بين المسلمين، ويلقون الشبه فى طريق الإسلام ويعلنون عما فى قلوبهم من حقد على الرسول والمسلمين. وظهر ذلك شديداً واضحاً بعد انتصار الرسول فى معركة بدر، حيث لم يستطع اليهود التحكم فى عواطفهم العدائية للرسول.. وأخذوا يثيرون فتنة داخلية فى المدينة. والرسول ﷺ هو الشخصية القوية التى ترعى تنفيذ المعاهدة السلمية التى عقدها من قبل حين دخوله المدينة.. ولم يستطع المسلمون الصبر على ما يثيره هؤلاء اليهود من فتن داخلية لا سيما زعيمهم كعب بن الأشراف. فاستدرجوه وقضوا عليه، لعلهم يخافون ويكفون عن إثارة الفتن، والتعرض للرسول والمسلمين.

ولكنهم مع ذلك لم يكفوا عن عبثهم واستهتارهم بعهودهم.. حتى امرأة مسلمة فى سوق اليهود من بنى قينقاع ومعها حلية جلست إلى صائغ منهم بها.. فتطاولوا عليها، وأخذوا يطلبون منها كشف وجهها وهى تأبى.. فجاء يهودى خبيث من خلفها و« شبك » طرف ثوبها بشوكة إلى ظهر جلبابها، وهى لا تدرى.. فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا فصاحت، فأدركها رجل من المسلمين وقتل الصائغ اليهودى، فوثب عليه اليهود وقتلوه. واستصرخ أهل المسلم المسلمين فوقعت معركة بينهم.. وتدخل الرسول وطلب إلى اليهود أن يكفوا عن عبثهم وإيذائهم للمسلمين، وأن يحافظوا على العهد وإلا نزل بهم ما نزل بقريش، فاستخفوا به، وقالوا له : لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا عهد لهم بالحرب، فأصبحت منهم فرصة، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. وهنا وصل الأمر إلى مرتبة التحدى بين الرسول وبين اليهود.. ولم يكن من المقبول أن يبلغ الرسول والمسلمون هذا التحدى ويسكتوا، فيزداد اليهود فى غيهم واعتدآتهم.. وتضيع هيبة المسلمين ورسولهم.

كان مما لابد منه أن يكون.. وأحاط المسلمون بمنازل بنى قينقاع وحاصروها خمسة عشر

يوماً متتابعة لا يدخل ولا يخرج أحد، حتى استسلموا.. وقرر الرسول بعد مشورة أصحابه قتلهم جميعاً جزاء خيانتهم لعهودهم وتطاولهم على حرمات المسلمين، وتحديهم للرسول.

عبد الله بن أبى يتدخل

وهنا يتدخل رجل من كبار العرب بالمدينة كان قبيل مقدم الرسول سيتوج كحاكم للمدينة.. واضطر لقبول الأمر الواقع، وداهن الرسول، وسار مع الركب الجديد، وفى قلبه ما فيه من ضغينة، كان كما يسمى فى التاريخ ويشير القرآن رأس المنافقين وكبيرهم، فهو مسلم فى ظاهر الأمر ولكنه شديد الكيد للإسلام، حتى استأذن ابنه عبد الله وكان من أخلص الصحابة للرسول أن يقتله بيده. فرقَّ الرسول وعدل عن قتله.. توسط هذا الرجل ولكن بشيء من الجلافة والصلف حتى لا ينفذ الرسول حكمه وغضب الرسول لهذه الجلافة، وعبد الله بن أبّى رأس المنافقين يصر على توسطه وإلحاحه، مرة بعد مرة ويقول: إنى والله امرؤ أخشى الدوائر.. وتقدم عبادة بن الصامت الصحابى المخلص للرسول بمثل رأى ابن أبى.

وحينئذ رأى الرسول أن يسدى هذه اليد والمنة إلى عبد الله بن أبى وإلى المشركين من حلفاء بنى قينقاع، ويعدل عن قتلهم، ويقرر إخراجهم جميعاً من المدينة. وخرجوا تاركين وراءهم دورهم وأسلحتهم وأموالهم، وتوجهوا إلى الشمال حتى استقر بهم المقام فى أذرعات على حدود الشام.

درس لغيرهم

وكانت هذه خطوة لابد منها ليستقر الأمر فى المدينة، ولا ينتقض أحد فيها على العهد المأخوذ، كان درساً لكل من تسول له نفسه العبث بأمن المدينة وبالعهد المأخوذ على الجميع، ولا سيما اليهود الذين يكثر شغبهم، وتحركهم مطامعهم وأحقادهم.. فقد رأوا المصير الذى ينتظر كل عابث منهم.

وتمتعت المدينة بعد هذا الدرس بجو هادئ وإن كان يحوى تحته ما يحويه من غل اليهود وتربصهم بالرسول والمؤمنين.

وحدثت غزوة أحد وانهزم المسلمون فيها بعد نصر واستشهد منهم من استشهد وعلى رأسهم أسد الله حمزة عم الرسول.. وكانت فرصة استرد فيها اليهود والمنافقون أنفاسهم وفرحوا بما أصاب المؤمنين. وجاءت بعد ذلك أيضا حوادث مؤسفة للمؤمنين شجعت اليهود

والمشاغبين على الرسول بالمدينة على أن يزدادوا فى شماتتهم، وأن يرفعوا رءوسهم. وكان بالمدينة تجمعان قويان لليهود؛ بنو النضير، وبنو قريظة.

تآمر بنى النضير على الرسول

وفى هذا الجو ذهب الرسول ومعه عشرة من كبار الصحابة إلى محلة بنى النضير لأمر يحدثهم فيه فأحسنوا لقاءه، وأظهروا استعدادهم لما يطلبه منهم.. ولكن الرسول أحس وهو يتحدث معهم أنهم على غير عادتهم، وأنهم يدبرون أمراً خبيثاً، وكان فى غاية الحذر منهم، وعلى علم بما تطويه نفوسهم وقد ذهب إليهم ليختبر نواياهم، فكان مدة جلوسه معهم يراقب تصرفاتهم، ويرصد حركاتهم.. وكان يسند ظهره لجدار بيت من بيوتهم، فلمح بعد الأحاديث التى دارت فيما بينهم، أن أحدهم يدخل هذا البيت.. لينفذ مخططهم الذى أعلم الله به رسوله وهو إلقاء حجر عليه من سطح هذا البيت ليقتله.. فقام من فوره منسحباً من الجلسة تاركاً أصحابه معهم. فأسقط فى يد اليهود، حين رأوا أن صيدهم قد أفلت منهم، وبقى أصحابه فيهم وقتاً ينتظرون عودته.. ولكنه لم يعد، فقاموا ورجعوا ليلحقوا بالرسول.. وكان تدبيراً إلهياً أن يغادرهم الرسول فجأة، ويتركهم ويترك أصحابه على انتظار لعودته.. ليتمم حديثه معهم وبينما هم فى طريقهم قابلوا رجلاً قادماً إليهم يستدعيهم، ويخبرهم بأن الرسول وصل ودخل المسجد لتوه.. وكان لابد أن يفكروا كثيراً فى هذه الخطوة الغريبة التى خطاها الرسول، وفى الأسباب التى دعت إليها. وقصدوا المسجد رأساً، والتقوا بالرسول، وعلموا منه ما كان وراء مغادرة الرسول للمجلس فجأة، وأن ذلك كان لما أحسه الرسول من مؤامرة يدبرها اليهود لقتله..

إجراء حاسم

وإزاء هذه المؤامرة التى دبرها اليهود، خارجين بذلك على العهد الذى بينهم وبين الرسول، لم يكن أمام الرسول مفر من اتخاذ إجراء حاسم معهم.

فاستدعى محمد بن مسلمة أحد أصحابه وحمله هذا الإنذار لبنى النضير « اذهب إليهم وقل إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى. ولقد أجلتكم عشراً فمن رىى بعد ذلك ضربت عنقه» وأسقط فى يد

اليهود، وتأكدوا أن الرسول علم بمؤامراتهم، ولم يستطيعوا إزاء هذه المفاجأة إلا أن يقولوا لمحمد بن مسلمة الذى جاءهم بهذا الإنذار « ما كان أن يأتى بهذا رجل من الأوس» لأنهم كانوا حلفاءهم، فقال لهم : « تغيرت القلوب».

وفى أثناء ذلك بدأ رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول يتحرك، ويحرضهم على ألا يهتموا بهذا الإنذار، وأن معه قوة ستقف معهم ضد محمد.. وبدأ بنو النضير يفكرون على ضوء هذا الوعد، فمنهم من اغتر وفرح به، ومنهم من لم يقتنع من حيث لم يستطع عبد الله من قبل أن يحمى بنى قينقاع ويمنع إخراجهم من المدينة.

وفى الوقت نفسه كانوا يعلمون أن إخوانهم من يهود بنى قريظة لن يتورطوا فى مساندتهم ولا فى نقض العهد الذى بينهم وبين الرسول.

ومع ذلك رفضوا إنذار الرسول، واستعدوا لمنازلته، وتحصنوا ببيوتهم وحصونهم.. وجمعوا ما أمكن أن يجمعوه من سلاح ومؤنة داخل الحصون.. وانقضت المدة ولم يخرجوا.. فكان لابد من اتخاذ الخطوة الأخيرة معهم..

الرسول يحاصرهم

وجمع الرسول أصحابه بأسلحتهم، وساروا إلى ديار بنى النضير لمنازلتهم، وظلت الحرب عشرين يوماً وكلما ظفر المسلمون بموقع، تقهقر عنه اليهود وخربوه، وتحصنوا بآخر.. ورأى الرسول أن تعلقهم بزراعتهم وأرضهم ونخيلهم يحملهم على الاستبسال فى الحرب، فأشار على المسلمين بإبادة هذا الزرع، حتى يعرف اليهود تصميم الرسول على تنفيذ إنذاره.. وحتى تضعف عزيمتهم فى تعلقهم بأرضهم.. وارتفعت أصوات اليهود تعترض على الرسول: إنك تنهى عن التخريب فكيف تفعله؟.

ونزلت الآية ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين ﴾ والمراد « باللينة » النخلة لأن الرسول أمر بقطع نخيلهم وهى رأس مالهم..

وانتظروا أن ينفذ عبد الله بن أبى لهم بالمساعدة، فلم يجدوا شيئاووجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام رسول الله وقوته التى تحاصرهم فلم يجدوا مفراً من التسليم.

إخراج يهود بنى النضير

استسلم يهود بنى النضير بعد حصارهم عشرين يوماً، وبعد يأسهم من أية مساعدة لهم سواء من رأس المنافقين، أو من يهود بنى قريظة، وبعد أن تأكدوا من عزم الرسول على تنفيذ إنذاره، وضعفهم أمام قوته المحاصرة لهم.. وما حصل لدورهم وحقولهم من تخريب، طلبوا من الرسول أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة.. واستجاب الرسول لإنهاء القتال والمحاصرة، على أن يخرجوا من المدينة، ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من مال وطعام. ولم يكن أمام اليهود مفر من النزول عند هذا الشرط.. وبدءوا يجلون عن المدينة ويخرجون منها على هذه الصورة ناجين بأرواحهم، وبما يستطيعون حمله من مال وطعام.. وعلى رأسهم « حيى بن أخطب » تاركين دورهم وأراضيهم وما لم يستطيعوا حمله معهم للمسلمين وقائدهم ورسولهم.. ونزلوا فى أقرب تجمع لليهود من المدينة وهى «خيبر»، ومنهم من واصل سيره إلى الشمال واستقروا فى « أذرعات » كما استقر بنو قينقاع من قبل.

إجراء لا مفر منه

قد يقف بعض المؤرخين عند هذا الإجراء، ويعدونه إجراءً قاسياً، فكيف يخرج الرسول أناسا من دورهم وحقولهم وقد استقروا فيها وعمروها من قبل أن يقدم الرسول إلى المدينة.. ولكن لابد أن نراعى أن الرسول حين قدم للمدينة عقد معهم ومع غيرهم من طوائف سكان المدينة معاهدة أمن وسلام داخلى، ودفاع جماعى عن المدينة.. ولكل طائفة منتهى حريتها مادامت ترعى هذا العهد.

وكان عهدا لابد منه ليعيش سكان المدينة فى أمن وسلام. وقد حافظ الرسول والمسلمون على هذا العهد من جانبهم.. ولم يكن من المقبول أبداً أن تتحرك إحدى الطوائف بالمدينة لتنتقض هذا العهد، ولتحول المدينة إلى منطقة صراع داخلى يشقى به سكانها.

وإذا كان العهد يقضى على سكان المدينة جميعاً أن يتحدوا للدفاع عنها

وعن أمنها، فليس من المقبول أن يجئ الشر للمدينة من داخلها وممن أخذوا العهد على أنفسهم بتوفير الأمن الداخلي والخارجي لها.

ولقد سبق لأناس تمردوا على هذا العهد ونقضوه أن طردوا من المدينة، لأنهم أصبحوا مرضا فيها، وكان هذا يقضي على من بقي من سكان المدينة أن يفوا بعهدهم ويلتزموه، وألا يثيروا نزاعاً وصراعاً داخلياً فيها لكي يبقى لها أمنها..

ولكن بعضهم تحرك تحركاً خطيراً، ودبر المؤامرات، واتصل بالأعداء في مكة وغيرها ليثيرهم على الرسول. أما وقد وصل الصراع إلى هذا الحد، فلا مفر من المجابهة مع المصارعين الناقضين للعهد... وهم إما أن يكونوا أقوياء يتغلبون بقوتهم على رسول الله فيتحكمون في أمره وأمر المسلمين، ويذلونهم، وإما أن يكون الطرف الآخر قوياً فيطهر المدينة ومجتمعها منهم.

لم يكن هناك مفر من هذه المواجهة.. وما كان يمكن أن يصالحهم الرسول ويتركهم مكتفياً بكلام وعهد معهم، فهم لم يرعوا العهد الوثق من قبل، وقد انحاز إليهم المنافقون وناصروهم بالكلام والوعد، وإن لم يستطيعوا المناصرة العملية لهم خوفاً من قوة المسلمين.. ولو استمروا في حياتهم بالمدينة لبقوا فيها فساد وإفساد، ينضم إليها المنافقون، فيزيدون المدينة خبالاً وتفككاً وفساداً، وتآمراً على الرسول.

والرقعة الصغيرة من المدينة وضواحيها لا تتحمل هذا الصراع.. ولا يمكن أن يأمن الرسول على نفسه وأصحابه ودعوته، ومجابهة أعدائها من المكيين وغيرهم، وهذا حال المدينة والصراع فيها..

وبهذه الموازين أخرج الرسول بني قينقاع جزاء لهم على ما اقترفوا وأخرج بني النضير كذلك ولم يكن هناك بديل آخر من هذا الإجراء واليهود قوم غرباء على أرض المدينة وسط سكانها العرب، وهم وإن استطاعوا أن يكونوا ثروة، ويحوزوا أرضا، ويعيشوا بدسائسهم وسط العرب، فهم ليسوا بعرب وليسوا من سكان المدينة الأصلين فهم قوم نزحوا إليها من الجنوب واستقروا فيها وطاب لهم العيش، والرسول لم يبادئهم بشر، بل عقد معهم كما عقد مع العرب المشركين من أهل المدينة معاهدة أمن وسلام وتعايش سلمي ودفاع عن المدينة، ولم يحافظوا على العهد.. فماذا كان يمكن عمله معهم؟

ماذا كان يمكن لآخر غير الرسول أن يفعله لو كان فى موقفه؟

لم يكن هناك مفر أبدا من هذا الإجراء.. واليهود الذين مهدوا له، وأجبروا الرسول على اتخاذه، وكما يقول الله ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ والجزاء على قدر العمل.

ولقد استولى الرسول على الأموال والعقارات التى تركها بنو النضير، ورأى أن يقسمها على فقراء المهاجرين والأنصار.

وفى هذه الحادثة أو الموقعة نزلت سورة الحشر أى سورة الخروج، وتعنى خروج يهود بنى النضير؛ لتقص الأجزاء المهمة من وقائعها.

يهود بنى قريظة

وبعد أن أخرج الرسول يهود بنى النضير من المدينة لم يبق فيها تجمع لليهود ذو شأن إلا تجمع يهود بنى قريظة. وهؤلاء حتى ذلك الوقت، قد التزموا بالعهد لم يخرجوا عليه.. فتركوا وشأنهم، لم يتعرض لهم الرسول، ولم يؤاخذهم ــ كيهود ــ بما فعل غيرهم من إخوانهم.. وقد شهد بنو قريظة ما نزل بزملائهم وإخوانهم من بنى قينقاع وبنى النضير.. وكان عليهم أن يتعظوا بذلك، ولا يقدموا على نقض العهد.

ولكن اليهود كطبيعتهم لا يقفون عند عهد ولا وعد إذا ملكوا قوة، أو واتتهم فرصة.. وكيف، وهم لا يضمرون خيراً لغيرهم، وقد علمتهم كتبهم أنهم شعب الله المختار، ولا حرمة لغيرهم من الشعوب، وذهب بهم الغرور إلى حد إهدار دماء غيرهم وأموالهم، وعدم الالتزام بأية حرمة أو عهد تجاه غيرهم، وعدم الإيمان برسول من غير جنسهم.

ولهذا وجدنا يهود بنى قريظة ينتهزون المحنة التى يمر بها الرسول والمسلمون فى غزوة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق، ويتصلون سراً بمشركى قريش، يحرضونهم على الرسول، ويثيرونهم عليه، حتى إذا جمع المشركون جيوشهم وجاءوا للمدينة يهاجمونها ويقضون فيها على محمد ﷺ ودعوته وأصحابه، وجدوها فرصة عظيمة لهم، ليضربوا ضربتهم النافذة ويتخلصوا نهائياً من الرسول.

فاتصلوا سراً بقيادة جيش المشركين ــ أبى سفيان وأصحابه ــ أثناء حصارهم للمدينة ووقوفهم أمام الخندق، يلتمسون منفذاً لدور المدينة وللوصول إلى محمد، وبمقتضى العهد مع اليهود، اطمأن الرسول إليهم، ولو على حذر، ألا يسهلوا من جانبهم طريقاً للمشركين ينفذون منه إلى قلب المدينة.

ولكن يهود بنى قريظة لم يلتزموا بالعهد، واتصلوا سراً بالمشركين، وفاوضوهم ليفتحوا لهم الطريق من جانبهم.

وعلم الرسول بهذا.. فكان التدبير الذي اتخذه بمعاونة أحد المسلمين سراً «نعيم ابن مسعود» ليحبط هذا الاتفاق.. وجاءت آية الله فوق كل آية ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ أى على المشركين المعسكرين أمام الخندق.

وتخلص الرسول بهذا من جيش المشركين الذى رحل عائداً إلى مكة دون نصر.. واستدار للخونة يهود بنى قريظة لينزل بهم الجزاء المناسب سريعاً، فأمر المسلمين فور التخلص من المشركين بالذهاب إلى منازل بنى قريظة وحصارهم حتى استسلموا. وكان الحكم فيهم مناسباً لجرم خيانتهم : أن يقتل الرجال المقاتلون، وتسبى النساء والذرارى، وتقسم الأموال.. وتخلصت المدينة من آخر جيوب اليهود فيها.

وفى الآيات من أوائل سورة الأحزاب.. بعض دقائق هذه الحادثة ومصيرها.. ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ ولكن بقى على مقربة من المدينة جيب آخر استقروا فيه من قديم، كما نزح إليه الذين أخرجهم الرسول من المدينة، وهو جيب « خيبر » شوكة وخطراً على المسلمين من ناحية الشمال ناحية الروم، وهذا الجيب قضى على شوكته الرسول بعد ذلك، وأصبحوا خاضعين مزارعين فى أرضهم لدى المسلمين وتحت سلطانهم، وقد تركهم الرسول لأنهم لم يكونوا خطراً كخطر اليهود المقيمين بالمدينة، وليعمروا الأرض، ويتفرغ الأصحاب للجهاد فى سبيل الدعوة ومنازلة خصومها.

بنو إسرائيل فى القرآن الكريم

لقد حفل القرآن الكريم بقصص بنى إسرائيل وتألبهم على أنبيائهم منذ بداية الديانة اليهودية فى عصر نبى الله موسى عليه السلام وعصيانهم الدائم لتعاليم السماء، بل إنهم حرفوا التوراة وكتبوا التلمود بأيديهم زاعمين أنه الكتاب الثانى بعد التوراه، تلقاه موسى شفاهة من ربه وبعد ذلك بقرون طوال وضعوا بروتوكولات حكماء صهيون بكل ما فيها من أكاذيب وأباطيل ودعوة لتحطيم القيم والأخلاق بل وتعاليم السماء..

والقرآن الكريم وهو أوثق المصادر والنصوص الدينية، التى لم ينلها التحريف يقص علينا أصدق القصص عن هؤلاء فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خسئين ﴿ ٦٥ ﴾

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلةٌ فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴿ ١٥٢ ﴾

اقرأ ما جاء فى بداية سورة البقرة، آل عمران ـ الأعراف ـ الإسراء ـ يوسف، وغيرها مما حفل به القرآن الكريم